كتاب القرمطي الأخير
إلى مولاه الحاكم بأمره

مولاي «الحاكم»
كرَّمني الأوباش بتعذيبي من أجلِكْ
في غرفة تحقيق الزمن القاتم
كرَّمني الأوباش بتجريدي من ثوب الصوف ومن جلدي
الزائلْ
شرَّفني ـ لو يفقَه ـ بالقتل القاتل
لكنّي لم أهلكْ
قاومتُ لأجلك

وبُعثتُ لأجلك
ونطقتُ وبُحتُ لهم في قبو التعذيب الغاشم
لا تغضب لا ترذلني يا مولاي الحاكم
لم آخذ « بتقيَّةٍ » زمني ونطقتُ ،
ألستُ « الناطق » في كل جهات الكون بأسرار «القائم » ؟
منذ تقمّصني روح الله « أبو ذرٍّ » ،
وأنا في حربٍ ضاريةٍ ضد «العثمانيين » وضد « الأحباريين »
وأما بعد ،
فالأرجحُ أن الوردةَ كانت داكنةً بعض الشيءْ
لهذا انشطر العالم شطرين ومات الضوءْ
ويقول شهود عيانٍ إن فراشات الحبّ استأنفتِ الحُكْم
لكنَّ القاضي، كان وما زال يميلُ إلى الظُّلْم
استحلفُكم
أستعطِفُكم
أرجوكم إجلال الموقف بعض الشيء
يحدثُ أحياناً أن يزدرد التاريخ دعابته فيغصَّ بها
يحدثُ أحياناً أن يجتمع القاتل بالمقتول إلى مائدةٍ واحدةٍ

في المقهى الواحد
يحدثُ أحياناً أن الوطن يصير (مع الأسف الفادح) مقهىً
بحرياً يقلبه الملّاحون الغرباء على رأس النادل
دميتْ شفتي السفلى من طول العضّ بأسنانٍ ينخرها
السوسُ ،
اهترأ القلبُ اهترأ القلبُ
هُرعتُ إلى المستشفى
استقبلني الدكتور المتحضِّر .. بالرشّاش
تمدَّدْتُ على الحمّالةِ
هبَطتْ بالبرشوت عليَّ ملائكة الرحمه
خفتُ كثيراً وصرختُ فطوَّقني في الحال رجال الشرطة
والحرس المدنيّ
ويحدثُ أحياناً أن يزدرد التاريخ دعابته فيغصّ ..
طلبتُ محاميَّ فجاؤوني بدواء تجريبيٍّ ثبتت في الفئران نجاعتُهُ
وشفيت تماما وبكيت من الخزيِ
تمنّيْتُ الموتَ ولم يُسعِف
فشكرتُ الموت على لفتته السمحاء

لأني منهمك بالحزن البشريّ الممتدّ من الماء إلى الماء
ولأني مسؤولٌ عن طفلين وزوجه ..
يحدثُ أحياناً أن التفت إلى الخلفِ ،
فأمسخ عاموداً من ملح « البحر الميِّتِ »
أرفعُ نصباً « للحولة »
(كانت في وطني أمس بحيرةُ دمعٍ تدعى الحولة) ..
في طائرة الجامبو بين نيويورك وأمستردام ،
عثر رجال الأمن على قنبلةٍ وبحيرة
لم يلقوا القبض عليَّ لأنّي عند وقوع الحادث كنتُ ..
(آغفر لي يا مولاي .. اغفر لي ..)
كنتُ أغازلُ سائحةً إسبانيَّة
في حمّام العبّارة عبر قنال المانش .
يحدثُ أحياناً أن تتفجَّر سيارة مرسيدس
حين انفجرتْ في شارع «أللنبي » سيارة مرسيدس
هرع رجال « الشين بيت » إلى عنواني المشبوه ، بحقٍّ
لكني عند وقوع الحادث كنت على متن قطار السهم النازيّ
وكانت تذكرتي تكفي الرحلة ما بين الغفلة واليقظة

ومتاعي .. أغنية وبحيرة .
للمؤتمر الدوليّ مهمَّتهُ العينيَّة يا مولاي
كل الخطباء أصابوا كبد الموضوع
أجادوا في البحث وفي التمحيص وفي سبك الجمل على اكمل
وجهٍ
نوديَ باسمي فصعدتُ
وكان خطابي جرحاً وبحيرة .
من دهرٍ ، يا مولاي
أعرف رجلاً أنهكه الحبّ ، كثير التجوال من امرأةٍ لامرأةٍ
لكنْ بين الرجل ومحبوبتهِ
كانت من دهرٍ تمتدُّ بحيرة .
سقطتْ أعمدة الهيكل يا مولاي
سقطتْ في الحمأ المسنون
لكن الحادث لم يسفر إلا عن مصرع رجلٍ يُدعى شمشون
وآخر يدعى بن نون ..
ويضيف الراوي أن امرأة حبلى كان تنشد :
« الحبُّ بحيره

والموت بحيره
والشِّعر بحيرة
والعبوات الناسفة بحيره
والطفل الباكي لأبيه الذاهب للشغل .. بحيره
والمؤتمر الدوليّ
السفر الليليّ
الغضب الدمويّ
.. بحيره ..
والشجر . الصحراء . الناس . الآلات . الكتب ..
بحيره »

وعلى كل جهات العالم دوَّتْ صيحة عاشقها الأبديّ :
« إنّي أرتجفُ . تزلزلني الحمَّى
غطّيني بيديكِ الحانيتينِ ،
يداكِ بحيرة » .

يا مالك روحي وقميص الروح الرث
أمنحني نعمةَ شمسٍ أخرى وظلامٍ آخر
قُدني كالأعمى في بهو نيازكك الممتدة من حرف « الضاد »

الى حرف « الدال »
ومن بُرج « الثور » إلى بُرج « السرطان »
قُدني بالحجَّة والبُرهان
لن أنتقص هواك فلا تحكمني بالعصيان
اعترفُ بحبّك لا أشرك فيك
من شدَّة حبّي أرضاني ما لا يرضيك
لم أسجد بين يدي آدم أنا نارٌ وهو ترابٌ
في النار عناصرك الكليّة يا مولاي وإنّي في حِلّ
هم طرقوا بابي في منتصف الليلْ
ونهضت على عَجَلٍ مبخوعاً
لم أسأل ، كالعادة ، « مَن بالباب ؟ »
فتحتُ البابَ على مصراعيه
وكان هناك ملائكةٌ
قالوا : « هل تتبَّرع للحملة ضد السرطان ؟ »
قلتُ : « أجل . لا شك بذلك . في الأسبوع الفائتِ
ماتت سيدة أعرفها ، بالسرطان » .
ولبستُ قميص الصوف ، مضينا ، وقرعنا الباب التالي

لم يُفتح
وقرعنا ثانيةً
لم يُفتح
وقرعنا وصرخنا
لم يُفتح
وخلَعْنا الباب ، دخلنا فوجدنا سيدةً
ميِّتةً من أسبوعٍ .. بالسرطان !
هادئةٌ ريح البيداءْ
وأنزفُ منبوذاً في رمل الحسرة
تطلع من بين الكثبان الرئم النافرَة
فأسألها جرعة ماءٍ أو قطرة ماءْ
تفزعها طرفة جفني فتطير شعاعاً
وأنا أضحك مهزوماً .. قتلتني طعنةٌ « كعب الأحبار »
وأتابع نشرات الأخبار :
أطلق مجهولون النار على العرّاب الأمريكيّ
وكان يئمُّ يهود بروكلين في مسجد مار جريس .
نقل على الفور إلى مستشفى البحريَّة

وأفاد التقرير الطبّي بأن البورصة في حمّى قاتلةٍ
بعد هبوط « الينّ » وتعويم « الدولار » .
ألقى الـ .F.B.I القبض على رجلٍ
يدعى « عزّ الدين القسّام » ،
بتهمة إطلاق النار ..
وأتانا في نبأ عاجل
أن صبيّاً من حيّ « القصبه »
يفرض صيغته الواضحة المقتضبه
ليفنّد أكذوبة « كعب الأحبار »
(كوكا كولا المنعشةُ رفيق التين إيجرز
جيل الجينز يفضِّل صابونة بالموليف)
وإليكم آخر أنباء الأمم المتحدة :
زوبعة مجتهدة
تتجوَّل بالفتن وبالعُدد الحربيَّه
بين الدمّ وبين البترول .
وختاماً يا مولاي « الحاكم »
ها أنذا أوشك أن ألفظ آخر أنفاسي

في غبش الطقس الغائم
ما بين يديّ الراعشتين وبين فمي
يمتدُّ « الربع الخالي »
ما بين أبي وابني
تتقلّب سبعةُ أجيالِ
ما بين الشمس وبين جبيني
آمادُ دمٍ وفراسخ حسره
قلبي ولساني
لا تدخل بينهما شعره
فآقبل مني التوبه
لا تحرمني رحمتك الرحبه
علِّمني حكمة نوّار اللوز وأمواج البحر وأعشاب البريَّة
لا أطلبُ أن تذكُرني
أطلبُ .. ألا تنساني !

انتقام الشنفرى

ـ النشيد الأول ـ

أيَذكُرني الشرّ بالشرّ ؟
لا بأس .. حسبي شبعتُ على مَسغبَه
وحسبي رضا الضبعِ والسيِّد والبيدِ
والأمم الرَّثة المتربه
وحسبي « أمّ العيال » الرؤوم
وذكر الصعاليك والأغربه ..
أيذكرني الشرّ بالشرِّ ؟
لا بأس ،

مما وُهبتُ أردّ الهبه !
غُبنت أهنت لعنت طعنت
وأمّت يمينُ القبائل وجهي
وباحت بسري يمين امرأه
« إذا ما أروم الودَّ بيني وبينها
يؤمّ بياضَ الوجه مني يمينها »
أقيمُ هجيناً وحُراً أهيم
أهذا إذن شرفي عندهم ؟
وهذا صراطهم المستقيم ؟
وهذا إذن قدري بينهم ؟
يميناً .. يميناً
هو الثأر يُقسم لن أرجئه
سأقتل منهم بما آستعبدوني
سأقتل منهم مئه
وأقتل أقتل منهم مئه !

ـ النشيد الثاني ـ

بنصال أظافره الوسخه
حكَّ البدوي الساخط غرّته السائبة على مدرجة الريح
لم يأبه بضراعة أرواح الموتى المعترضين على حرب الطبقات
مَسَّدَ عينيه الصافيتين كقلب نبيّ
وبخفة وحشٍ صحراويّ
دَمْلَق ساقيه الهائجتين بسخط « بلو جينز » السَّمل الكالح
وتأهب لمطاوي الخسَّة خلف زوايا الليل الفادح
ومكائد أقبية التكنولوجيا العمياء ..
نادتْه من الرمس الدارس في آل البيداء
أمٌّ لا تعلم حقاً إن كانت ولدته
ولا يعلم إن كانت حقاً ولدته :
يا ولدي المنقوض الناقض
من أين ؟
وإلى أين إلى أين ؟
يا ولدي الجنِّيّ الغامض

صفَّر لحناً همجياً
وبلؤم ينطف سماً ورحيقاً
قَضَمَ الحشفة .. وانطلق يجوب العالم
« أقيموا بني أمي صدور مطيِّكُم
فإني إلى قومٍ سواكُم لأمْيَلُ »
وانطلق يجوب العالم

ـ النشيد الثالث ـ

بَشَرٌ ، جِنٌّ ، إله ،
يستبيح المضْمَرا
ويرى ما لا يُرى
شنفرى
سيم خسفاً وهواناً ،
فانبرى
شنفرى
أقسمتْ أحزانه أن يثأرا

ألف ويل يا « شبابه »
يا « سلامان » ويا كل الورى
ألف ويلٍ من عذاب الشنفرى
وانتقام الشنفرى
« فإلاّ تزرني حتفتي أو تلاقِني
أُمَشِّ بدهوٍ أو عداف بَنَوَّرا
أُمشّي بأطراف الحماط وتارةً
يُنفّضُ رِجلي بُسْبطاً فعصنصرا
أبغّي بني صعب بن مُرٍّ بدارهم
وسوف ألاقيهم إن الله أخَّرا
ويوماً بذات الرَّس أو بطن منجلٍ
هنالك نبغي القاصي المتغوِّرا ! »
ويوماً بذات الجليلِ
ويوماً بذات الخليلِ
ويوماً بيافا وحيفا
وبيروت ، باريس ، عمّان ، روما
ويوماً بكل الحواضر

كل المنابر
كل المقابر
وللشمس أمرٌ
وللقدس دهر
يحاذر حيناً وحيناً يجاهر
وشعب على العسف والخسف صابر
وللقدس جرح يهز الضمائر .. ما من ضمائر !
ذريني يا أم واسترسلي جثةً في كثيب
ذريني ليأسي وغُرمي
وقوسي وسهمي
وبأسي وغُنمي
إذا حرموني الحبيب ، فإني المحب وإني الحبيب
وماضٍ وحاضر
ومستقبل في غيابة هذا الزمان المغامر
« دعيني وقولي بعد ما شئت ، إنني
سيُغدى بنعشي مرة فأغيَّب »
هو الثأر يُقسم لن أرجئه

بما يتموني وما شرّدوني وما استعبدوني
سأقتل منهم مئه !

ـ النشيد الرابع ـ

من المهدِ
إلى اللحدِ
دمي في وجنة السفاح
في آنيةِ الوردِ
وأوتاري شراييني
وموسيقاي سرّ البرقِ والرعدِ
وغيظ التين والزيتون من ظمأى الكوانينِ ..
أجوس الأرض ملتفاً بحرماني
بلا وطنٍ بلا أهلٍ
بلا شكلٍ بلا ظل
وأشعل في جذور النار نيراني
وأفري الغلَّ بالغلِّ :

ألا يا أيها الأحياء والموتى
مزيفة مواجعكم
مزورة شرائعكم
وإني قادم أبغي مضاربكم بعسف شريعة الغابِ
فسموني بما شئتم
رسول الشرّ
سموني : رسول الخير
سموني : حمورابي
سأغزوكم بما للحقد من ظفرٍ ومن نابِ
لأشعل بالدم المهراق أحطاب السدى الكابي
نِحـــل تنـوء بخـــزيهـــا وملوكُ
ويفت فيهـــا مضَمَـــرٌ مهتـــوكُ
هجنٌ وأحـــرارٌ ؟ عبيـــدٌ كـلهم
والحق غبن واليـقـــين شكـــوك
فاضرب ، لُحيت ، هي الحياة رسالة
دمـــويـة .. ورســـولهـــا صعلوك

ـ النشيد الخامس ـ

مجدولة بالشبق الوحشيّ
تنقضُّ عبر الهجير المرصود بالآفات والفواجيء
يد غليظة
تقتلع ثدي السذاجة
من منابت اللثة الغضه
ينصعق الطفل برعب حيواني فيزعق
انتفضي أيتها العواصف الرملية
يزعق يزعق
كوني يا أعمدة النقع نخيلاً يساقط تمراً دموياً
يد غليظة تسحل الأم المبخوعة
على رمال العالم وثلوجه
مخلّفةً على خرائط الدول وتقاويم الشعوب
خطاً واضحاً من الدم الواضح
يمتد الزعيق المرعب إلى نطفة الحياة وومضة الموت
ويد غليظة

تدسّ ديناميت الخزي تحت أعمدة السماء المنخفضة
لتنسف من الأساس حلماً يُسمّى الإنسان .
أيها السراب العابث المهاجر أبداً
أيتها الكثبان المقيمة على أنفاسك الرتيبة
أنت شاهد عيان في هذه الجريمة المتقنة
وها هو ذا الشنفرى الميتّم بصكوك الباطل
يرضع حليب العبوديّة الغامضة
ليخلف بانتقامه المتقن
خطاً واضحاً من الدم الواضح ..

ـ النشيد السادس ـ

طوبى لشكوكي ويقيني
طوبى للمشي أماماً في طرق الليل الوعره
طوبى للشغف الدائم في الروح المحتضره
طوبى للنار الأبدية في ثلج جبيني
طوبى لي .. مأخوذاً ، تنزلق على كتفيّ العاريتين أفاعي

الدهشة والشغف البكر ـ أما من لونٍ غير القزحيّ
المستهلك ؟ ـ يا قلبي يا قلبي أُرهقك الجسد الصاخب .
مغفرةً يا قلبي المتسكِّع في أمصار السّحر . اتبعني يا قلبُ .
بلوتُ الحامض والحلو تعثرت نهضت تعثرت نهضت. وقاتلتُ
أحاجي المكفوفين وصاحبتُ الصدّيقين الكفَره ..
يا قلبي المثقل بخطايا الذكرى وخطايا النسيان اتبعنا يا
قلبي . نحن الأبناء البرره ..
نجحد ، لكّنا الأبناء البرره
نكفرُ ، ونظلّ الأبناء البرره
يا قلبي الحافي المتسكّع في سُبُل التاريخ القذره
هي ذي تفاحة موتي في متناول أشواقي النازفة على حدّ
السكين
تلفحني نار اللهفة في أنغولا
يأتيني من قمر تشيلي وردٌ ونحاسٌ
تتفتح قيرغيزيا في برعم حبّي
أشربُ نخباً في نيويورك
اعيد قراءة پوست كارد صينيّ مختوم بوداعة نوار اللوز

الأبيض مرصودٍ بالتنّين

أأحب بهار الهند ؟ ذراع حبيبي اتشحت بالوشم وإني لجريحٌ بالحبّ

جريحٌ بالحب . ضمادة جرحي من تفتا الهندِ ، ينزّ الجرح ويرسم بدموع الوجد وماء الورد وتفتا الهند بلاداً تدعى في السرّ فلسطين وتدعى بالجهر فلسطين ..

طوبى لنداء الحب وطوبى للورده

لو صحتُ تعالي : لارتعشت أشجار تزهر في النار وفي الثلج .

وأنثى تنتظر رجوعي من أفق وحشيّ لو صحت تعالي :

لانفرجت أوقات الشدَّه .

لكني لا أركض

عرياناً في بيد الشوق وراء كفافي اليوميّ

أحلم بالوردة وأنادي الوردة . لا يشفي جسدي غير الورده .

لا يشفي روحي غير الورده

احلم بالوردة واصيح : تعالي

طوبى لي معترفاً أني حين بلغت ديار « سلامان » انقبضت نفسي

صوتي محظور في شرع « سلامان » ووجهي .
قد أغدو حياً فيها . لكن لن أُمسي
والموت أمان .
صحتُ بنفسي :
حاذري أيتها النفسُ فإنّ الجبنَ موتُ
والرَّدى في الأوجِ صوتُ
فانثري في الملأ القاحل بذرِ التضحياتْ
وافتحي للمطر الإنسيّ أبواب الحياةْ
واطلبي أنصاركِ الشجعان .. يأتوا !

ـ النشيد السابع ـ

ولو أنهم جزوا من الشاة صوفها
لطاوَعها صفحٌ على البرد والحرِّ
ولكنهم جـزّوا فؤادا مُـدلَّهـاً
فلا خير، غير الشر، يشفي من الشر
هو الثأر ! يصمي قلبهم ملء وَفْضَةٍ
تَسابق منها الهيف للصدر والنحرِ

وقد حزموا أمراً على كسر شوكتي
وإني على تشميتهم حازمٌ أمري
بما اعتبدوا عنقي أصك صدورهم
بكل مريشٍ قنصهُ موضعُ السر
ولا أنثني حتى تصير جسومُهم
فرائس تغذو ساغب الوحشِ والطيرِ
وإن قبضوا مني ذماء أعافُهُ
فما قبضوا غير الرمادِ من الجمرِ
ولا خير في عيشٍ على القيد سابغٍ
ولا ضير في موت الفتى ميتة الحر !

ـ النشيد الثامن ـ

على رسلهِ انطلق الشنفرى
يجوس وهاد العذاب السحيق ويلطم كِبْرَ الذرى
ذراعاه جسران ،
جسر إلى يقظة الوجد يفضي

وجسر إلى سكرات الكرى
ومن حوله فتية كالسراحين ،
أغربةٌ مثله في الورى
تناوشهم ألم لا يكلُّ
وأخنى نهارٌ وليلُ
ونكَّل بالجسم والروح منهم ،
عدو وأهلُ
فلا مات حقدٌ
ولا عاش ذلٌّ
هو الثأر يقسم لن نرجئه
بما يتَّمونا وما شردونا وما استعبدونا
سنقتل نقتل منهم مئه !

ـ النشيد التاسع ـ

تحلق الشنفرى وفتيته حول ناووس طفولتهم الموؤوده
تمتموا ، على الجوع ، صلوات الغضب المتخم

وانطلقوا عاصفة من الدم والياسمين
دسوا عبوات حزنهم الناسفة
تحت عروش مطلية بالكذب والذهب الأسود
ومرغوا بوحول المذلة وجوهاً من السختيان الحليق
سختيان يتلمَّظُ طبولا ونحاساً في المؤتمرات والخمارات
الراقية !
تسلل الشنفرى إلى المطارات الدولية والموانيء
وبيدٍ ثابتة القلب
سكب السم على موائد رجال الأعمال في السفن السياحية
وجرَّد الطائرات من محركاتها .
على مداخل الأمم المتحدة
أشعل دمية كرويَّة (لعلَّها بيضوية !)
وأتلع جيده في خطبة صماء :

تفضل حضرة المبعوث الدولي فتناول على ضريح أمي وجبة
إفطاره ملتزماً نظام الريجيم الصارم.

اختلفت وجهات النظر : أيكون التنديد شديد اللهجة أم
نكتفي بأكاليل الزهور ولفت النظر ؟

لم يحسم غير الفيتو !

مضى العالم في سبيله ومضى القتلى . وعُلم مراسلنا ان موسم الزهور كان رائعاً هذا العام . لا خوف على الجنازات وحفلات الكوكتيل . وعليه أيها السادة فانني أحتفظ لنفسي برغبة الصراخ وحق الانتقام من جنازير الدبابات. ها هي ذي الطائرات القاذفة المقاتلة تعترض خطبتي وتقاطع حزني. لغتي لا تملك الفيتو. أحتج رسمياً على حقارة غواصاتكم، همجية أغانيكم ومخالب الشيفرة.

لأجل من كل هذه المكائد ، المراوغات ، الرحلات السرية الخاطفة ، البيانات التفصيلية والمقتضبة ؟ لمن الحمّى ، الخرائط، الانذار المبكر ورؤوس الأقلام ؟ تصطلون على هشيم دمي . في ضوء عنقي المذبوحة تتفرجون على الأفلام الزرقاء . أو. كي. لم أكن أعلم أن قناطر الرخام والأطفال والزخارف الكوفية تستحق كل هذا القدر من العقاب. وانني لأبشركم بتحرك الطبقات والطبقات الجوفية . عِلم الجيولوجيا هو التابع ، ومن ثم يأتي علماء الآثار الملتحون ، بقبعاتهم المضحكة . أفهم كل شيء ومع هذا لا أفهم شيئاً .

أحني رأسي إجلالاً للطيور الأليفة . للسيرك ولمباريات كرة القدم . لكن ماذا أفعل بكل هذه الجثث ؟ الجثث المنتظرة تحت أنقاض جسدي : ماذا أفعل بلائحة الإتهام المحفورة عميقا على الجلود المكوية بالسجائر . على خرائب المدارس والأغنيات . على أطلال الطفولة المصعوقة . وعلى أغصان الزيتون المدنسة برائحة ثيابكم وبنادقكم. على السيقان والأيدي المبتورة بسيوف أساطيركم . على الوجوه الجامدة الموصدة بالشمع الأحمر وحظر التجول . أكواخ الصفيح المرنَّة بصيحات التشرد والموت . ماذا افعل بدمي الصارخ في البرية المرشوق على الوصايا العشر كلوحة تجريدية .

ما نفع اللغات التي أتقنها في بابل؟ ما جدوى الشفق الساجي بانتظار الغارة الجوية . لم يبق من دمكم سوى الكيمياء . لم يبق من السيمفونيات والالكترونيكا سوى هذه الشهوة الواحدة ، شهوة القتل القتل . أيها الخنازير السائبة في كروم الفقراء . أيها الصدأ المتراكم على أصص الورد الاصطناعي .

ستاتيستيكا !

هذه هي كلمة السر كلمة السحر . هنا ينهار كبرياؤكم الكاذب .

ستاتيستيكا !

إمتشقوا أقلامكم الذهبية ودوِّنوا في مفكراتكم: ٩٩ قتيلاً حصاد غضبي وانتقامي !

اقتحمت خنادق الديسكو المحصنة بالضياع والقنابل العنقودية .

زعزعت بالحبق والنعناع أكاديميات الكذب والنيترون . ترصدت نواياكم الشريرة حيث الانفاق المفضية إلى ذاتها ، في بؤرة الروح المعتم . لم أدخر وسعا في رد الظواهر إلى كنهها الأرضي حذراً من الشعوذات والأحكام المسبقة. ٩٩ هولة .. بما يتمتموني وما استعبدتموني. فلتنتظرني السنابل . الأطفال . الهوايات والأزهار . هناك على صخرة الزمن اللزج بدماء الشهداء والضحايا المساكين . هناك حيث مطالع الأناشيد والجوقات المدرسية . هناك حيث العيون الصافية كدموع كبيرة ، تنتظر الوجه الالهي القادم

على طريق الشيطان.

آنذاك تخضل الأضرحة وأعواد المشانق . يصبح الأمل ممكناً . تنشقّ البوابات الحديدية الصدئة عن عشبة الفرح.

آنذاك تزهو الفراخ بزغبها اللدن. آنذاك ينحني الغريب بأدب جم لسيدات البلدة. تعبَّد الطرقات وتوزَّع الحلوى على الأولاد الشاطرين . ترف فراشة ملونة على ضفيرة طفلة تُحسن الغناء بلغة أخرى . آنذاك يلعب المتقاعدون الورق والنرد وهم ينتهرون الأحفاد المشاغبين باعتزاز أليف . آنذاك تضع الطيور بيوضها على الشبابيك وفي الخنادق الحربية المهملة.

آنذاك أبعث أنا الشنفرى لأحمل الأطفال على منكبي . ولأهيم على وجهي بأغاني الحب اللاذعة . ناثراً دموع فرحي على أوراق البرقوق والنرجس الجبلي . موقظاً الرعيان من تهويمة العشق الصعب ليكشوا عن أنوفهم نحلة الربيع العفريتة .

آنذاك يصبح انتقامي كتاباً نظيفاً وفق مناهج التدريس ويضربون المثل بوردة غرامي الملتهبة .

ـ النشيد العاشر ـ

فجأة يتوقف بث الاذاعات/ ينطفىء التلفزيون/ يصرخ في بحة الموت صوت ولا حنجرة/ أهي قنبلة يدوية ؟/ المذيعون في فرح غامرٍ/ يعلن الصوت للعالم السادِرِ :

ألقى الانتربول القبض على ارهابي بدوي يحمل باسبورتا لا شك مزوَّر ويجوب الدول الحرة مقتنصاً أصحاب صناعات الطيران الحربي وأرباب البورصة والفيزياء النووية ، مدعياً ان الله تعالى أوكله بالثأر لأطفالٍ نُسفوا في شيء يدعى تل الزعتر

يشتم عالمنا الحر ويجرؤ أن يرسم خارطة العالم باللون الأحمر عُقدت محكمة الميدان وصدر الحكم باعدام الإرهابي القاتل ، رمياً بالغربة والحزن . ووفق القانون الدولي أتيح له أن يوصي .. قال :

لا تقبروني ! غاية الشِّح ذَرى المقابرِ
انني لذو جدىً ، مُقتبلي وآخِري
فَخلِّفوني .. واهنأي باليسر « أم عامرِ » !

ويرى علماء السايكولوجي أن الإرهابي أصيب بمس في العقل وفي الروحِ ، ولكن الديموقراطية تكفل تنفيذ وصيته بالنص وبالحرف . وبعد الإعدام قذفنا بالجثة في ميدان الحرية حتى يعتبر عبيد الأرض. ابتهجت بالجثة قطط الأحياء الشعبية وكلاب البوليس وعشاق التصوير الفوتوغرافيّ ... نثرنا ملء جهات الأرض عظام الإرهابي القادم من بيد الشرق على أجنحة البرق ..

فجأة يتوقف بث الإذاعات/ ينطفىء التلفزيون/ يصرخ في بحة الموت صوت ولا حنجره/ أهي ماسورة البندقية ؟/ أهي قنبلة يدوية ؟/ المذيعون في غضب غامرِ/ يعلن الصوت في العالم الثائرِ

يؤسفنا أن نعلن للأمم المتحضرة الحرة والأمم الجاهلة العبدة والأمم المبهورة بين العتمة والنور . ان رئيس الكهان الأسمى سيدنا المحبوب تمشى في الفجر سعيداً بين ورود حديقته. فارتطم بجمجمة سائبة طرحته على الأرض مدمى مشتعلاً بعذاب جهنم . هرعت سيارات الشرطة والإسعاف ونقل على الفور إلى مستشفى البحرية . وهناك اتضح لنا ان الجمجمة

مسممة بالفكر الثوري فلم يعتم سيدنا ان مات شهيداً للبنك وللبورصة والطيران الحربي . واتضح لنا أن الجمجمة تعود إلى ارهابي بدوي جاء من الشرق على أجنحة البرق ..

ـ النشيد الحادي عشر ـ

أخاطبكم من رماد العصور وصحراء أحزانها المجدبه
أنا الشنفرى
رسول الصعاليك والأغربه
بُعثت لأنقُضَ مجد الأباطيل من أُسِّهِ
لأحرق يابس ليل الطواغيت والأخضرا
لأسحب ـ من أنفه ـ عالم العسف والمعصياتِ
إلى شمسهِ
أنا الشنفرى
حبيبُ الأناشيد ، طفل المآسي ، يتيم البراءه
رفيق شقوق الجدار
وعشب البحار

وشوق المدار
إلى شرفات السماء المضاءه
أنا الشنفرى
شهيد الصعاليك والأغربه
وسر التفجُّر عفواً
وروح الهدوء ،
وكفارة الأنفس المذنبه
أيذكرني الشر بالشر ؟
لا بأس
مما وُهبت أرد الهبه .
نذرتُ لِوَرْدِ الرضا والسلامِ
يميني وسيفي وقوسي
وعبوة حزني وبستان شمسي .
أنا الشنفرى
تخيَّرت موتي بحد الحسامِ
لأبعثَ حيّاً بحدِّ الحُسامِ
على كل خارطة شنفرى

وفي كل أغنية شنفرى

ومن كل مجزرة شنفرى

يموت بحد الحسام ويحيا بحد الحسام

واني لأنذر من غضبي وانتقامي

ومن غضبي وانتقامي

ومن غضبي

وانتقامي ..

ـ الأغنية

في قديم الزمان ابتنى ملكٌ قصرهُ
من ركام الشعوبِ وجهل الرعيه
وابتنى عرشه من عظام الضحايا
وأتاه جنود المظلات والمدفعيه
بألوف السبايا
في قديم الزمان
ملك مستبد مخاتلْ
صاح في سكرة العنفوان

« تلك صيدون في طرف الصولجان
تلك مصرٌ وبابل »
ثم دار الزمان
في هدير الزلازل
وأنطوى في جحيم اللظى والدخان
ملك من قديم الزمان ..

ـ الملاحظة ـ

يدَّعي بعضُهم أنه سمع الشنفرى
منشداً هذه الأغنيه
وادعى بعضُهم
أنهم وجدوا الأغنيه
في قميص عتيق يرفُّ على الغَمْرِ !
أجنحة ؟
مهجة ؟
علماً ؟
أحجيه ؟

ويقول الرواة الثقاتْ
إن من أنشد الأغنيه
لم يكن غير جمجمة الشنفرى
بعد أن أوفت النِذر
وآنطلقت في رحابْ الحياةْ ..

● إشارات ●

* الشنفرى ـ أغنى الشعراء الصعاليك وأجمل أغربة العرب قاطبة، تقاذفه بنو شبابة وبنو سلامان بالاستغلال والاستعباد . حين حاول ممارسة حقه الإنساني في الحب صكت وجهه الفتاة السلامية . ولم يطل به الوقت لاكتشاف الضرورة في ممارسة العنف ضد مذليه ومستعبديه اذا هو شاء إسترداد ذاته السليب . أقسم ان يقتل منهم مئة بما اعتبدوه وحين بلغ عدد القتلى ٩٩ أسروه ومثلوا به حياً فارتجز قبل الموت ولم يتح لهم سبيل الشماتة بيده المقطوعة . في قمة المأساة بلغ قمة الإنسانية حين أوصى للضبع « ام عامر » بجثته (لم تقم آنذاك معاهد التشريح الطبي!).. واكتمل انتقام الشنفرى حين تعثر أحد مستعبديه بجمجمته فسقط وقضى نحبه ليكون الكفارة المئة عما لحق بالشنفرى من حيفر وغبن.
* أم العيال ـ اسم التحبب الذي أطلقه الشنفرى على رفيقه « تابط شرا » .

(١٥/كانون الأول/١٩٨١)